

صَنَّفَه

فقيهُ الطّائفة المشهور وثِقَتُهم المُقَدّم المبرور

أبو القاسم جعفر بن محمّد بن جعفر بن موسى بن قولويه

المنتقل إلى رحمة الله سنة تسع وستّين وثلاثمائة من الهجرة النَّبويّة

(٣٦٩ هـ)

ومعه

الإشارات إلى ما في كامل الزّيارات

صنعة

محمّد زكي الجعفريّ الأديب الدّرّه صُوفيّ

المدرّس والمتخصّص

في

علوم الأدب وإنشاء لغة العرب

أبو عثمان سعيد بن محمّد، قال: حدّثنا محمّد بن سلام بن سيّار[١] الكوفي، قال: حدّثني أحمد بن محمّد الواسطي، قال: حدّثني عيسى بن أبي شيبة القاضي، قال: حدّثني نوح بن درّاج، قال: حدّثني قدامة بن زائدة، عن أبيه قال:

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: بلغني يا زائدة أنّك تزور قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام أحياناً؟

فقلت: إنّ ذلك لَكَمَا بلغك.

فقال لي: فلماذا تفعل ذلك ولك مكانٌ عند سلطانك[٢] الّذي لا يحتمل أحداً على محبّتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأُمّة من حقّنا؟!

فقلت: والله ما أُريد بذلك إلّا الله ورسوله، ولا أحفِلُ بسَخَطِ مَنْ سَخِطَ، ولا يَكْبُرُ في صدري مكروه ينالني بسببه.

فقال: والله إنّ ذلك لكذلك؟

فقلت: والله إنّ ذلك لكذلك، يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً.

فقال: أبشِرْ ثمّ أبشِرْ ثمّ أبشِرْ[٣] ثمّ أَبْشِرْ فلأُخبرنّك بخبرٍ كان عندي في

---

(١) وفي غيرها: «يسار».

(٢) هذا السّلطان ربّما يكون الحجّاج بن يوسف الثّقفي عدوّ آل الرّسول إن كان المراد من زائدة هو زائدة بن قدامة بن مسعود الثّقفي المقتول سنة ٧٦هـ لا زائدة. المتوفّى سنة ١٦١هـ وإن كان هو أيضاً مرابطاً تحت زعامة الأمويين ـ كما ذكره الذّهبي في تذكرة الحفّاظ ـ لكنّه بعيد عن عهد الإمام زين العابدين عليه السلام.

(٣) قال الأميني رحمه الله: ذهب غير واحد من الفقهاء المحقّقين إلى جواز زيارة الحسين عليه السلام مع أيّ خوف وضرر لإطلاق النّصوص كما مرّت في بابها ـ الباب الخامس والأربعين ـ، ولعلّ التّاريخ يملي علينا دروساً من عمل الأصحاب على عهد الأئمّة ـ صلوات الله عليهم ـ منضمّة بتقريرهم له ⇐

النَّجْبِ[1] المخزون؛ إنّه لمّا أصابنا بالطّفّ ما أصابنا، وقُتِل أبي عليه السلام وقُتِل مَن كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحُمِلْتُ وحُرَمَه[2] ونِساءَهُ على الأقتاب يُراد

⇐ يؤكّد ما اختاره المحقّقون، ولقد حمل إلينا عن أُولئك أنّهم ما صدّهم عن قصد مشهد الحسين عليه السلام ما كابدوه من المُثْلَة والتّنكيل والعُقوبة بحبسٍ وضربٍ وقطع يدٍ وهَتْكِ حُرْمَةٍ، وقابلوها بجَأْشٍ طامن، ولُبٍّ راجح، وشوق متأكّد، وهذا كتابنا ينطق عليك بالحقّ في حديث مرّ في الباب الخامس والأربعين في زيارة ابن بكير وإتيانه لها من «أرّجان» من بلاد فارس خائفاً مشفقاً من السّلطان والسُّعاة وأصحاب المسالح وهو من فقهاء الطّائفة كما في رجال الكشّي، وفيما يأتي في باب الحادي والتّسعين من حديث زيارة مثل محمّد بن مسلم، على خوفٍ ووَجَلٍ، وهو أكبر ثقة في الطّائفة، عدّه الصّادق عليه السلام من أوتاد الأرض وأعلام الدّين، وفي كلا الحديثين ـ فضلاً عن تقرير الإمام عليه السلام لفعلهما ـ بيان ثواب جميل لهما بذلك ونصّ على أنّ ما كان من هذا أشدّ فالثّواب على قدر الخوف. وفي حديث مرّ في زيارة مثل الحسين اللّيثيّ الكوفيّ الّذي أطبق الأصحاب على ثقته وجلالته في زمان بني مروان في الشّدّة وخوف القتل وتلف النّفس كما صرّح بذلك في حديثه، ويدلّ على مختار المحقّقين حديث هشام بن سالم الثّقة الجليل المرويّ عن الصّادق عليه السلام بطوله في الباب الرّابع والأربعين من الكتاب وفيه تفصيل بيان ثواب عظيم لمن يقتل دُون الحسين عليه السلام وأجر جميل لا يستهان به لمن حبس في إتيانه، وجزاء جزيل لمن ضُرِبَ بعد الحبس في قصد مشهده، إذن فلا نُدْحَةَ من تعميم الحكم على جميع ما ذُكِر وإن صعّد وصوّب فيه المهملجون.

(١) في النّسخة: «النّخب» ولم أجد له وجهاً، وفي غيرها: «البحر» أيضاً، وهو إن كان يناسب «المخزون» لكنّه لا يناسب السّياق، والصّحيح «النَّجْب» كما عن ابن سيده أنّه قال: «نَجَبَه، يَنْجُبُه» و«يَنْجِبُهُ، نَجْباً» و«نَجَّبَه، تنجيباً» و«انتجبه» أخذه، وهذه هي لغة العرب.

(٢) «الحُرَم» جمع «الحُرْمَة» مثل «غُرَف» و«غُرْفَة» وهي المرأة والواو بمعنى «مع» أي: «للمصاحبة وبعده منصوب، وليس للعطف، إذ لا يعطف على الضّمير المتصل من غير تأكيد بالمنفصل أو فاصل مّا، قال ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل　　عطف فافصِلْ بالضّمير المنفصل
أو فاصل مّا وبلا فصل يَرِدْ　　في النّظم فاشياً وضعفه اعتقِدْ

بنا الكوفة، فجعلتُ أَنْظُرُ إليهم صَرْعَىٰ ولَمْ يُوَارَوْا، فيَعْظُمُ[١] ذلك في صدري، ويشتَدُّ[٢] لما أرىٰ منهم قَلَقي، فكادت نفسي تَخْرُجُ، وتبيّنت ذلك منّي عمّتي زينب الكبرىٰ بنت عليّ عليه السلام، فقالت: مالِيْ أراك تَجُوْدُ بنفسك يا بقيّةَ جدّي وأبي وإخوتي؟

فقلتُ: وكيف لا أَجْزَعُ وأَهْلَعُ وقد أَرَى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مُصرَّعين، بدمائهم مُرَمَّلين، بالعَرا[٣]، مُسْلَبين[٤] لا يُكَفَّنُوْنَ ولا يُوارَوْن ولا يُعَرِّجُ[٥] عليهم أحد ولا يَقْرَبُهُمْ بشرٌ، كأنّهم أهل بيت من الدَّيْلَمِ[٦] والخَزَر[٧]!

(١) كذا في الأصل، والمناسب: «فَعَظُمَ» بصيغة الماضي.

(٢) كذا في الأصل، والمناسب: «اشتدّ» بصيغة الماضي أيضاً.

(٣) «العَرَا»: السّاحة والفِناء، سُمّيَ عَراً، لأنّه عَرِيَ من الأبنية والخِيام وأمّا «العَراء» ممدوداً فهو ما اتّسع من فَضاء الأرض وقال ابن سيده: هو المكان الفَضاء لا يستتر فيه شيء، وفي التّنزيل: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ وجمعه: «أعراء». قال ابن جنّي: كسّروا «فَعَالاً» على «أفعال» حتّى كأنّهم إنّما كسّروا «فَعَلاً» ومثله: «جَواد» و«أجواد» و«عَيَاء» و«أَعْيَاء». وقال الزّجّاج: «العَراء»: على وجهين: مقصور وممدود، فالمقصور النّاحية، والممدود المكان الخالي.

(٤) أبو زيد: يقال للرجل: مالي أَرَاك مُسْلَباً؟ وذلك إذا لم يَأْلَف أَحَداً، ولا يسكُنُ إِلَيْه أحد، وإنّما شبّه بالوحش، ويقال: إنّه لَوَحْشِيٌّ مُسْلَب، أي: لا يألَفُ، ولا تسكُنُ نفسه.

(٥) «عرّج عليه» ـ بالتشديد ـ أي: وقف عنده.

(٦) «الدَّيْلَمُ»: جِيْلٌ من النّاس ـ كما عن اللّيث ـ وقيل: هم من ولد ضَبَّةَ بن أُدٍّ، وكان بعض ملوك العَجَم وضعهم في تلك الجبال فرَبَلُوْا بها. وعن كُراع النّمل: «الدَّيْلم»: جيل من النّاس معروف يُسَمَّى التُّرْك.

(٧) «الخَزَرُ» ـ بفتحتين ـ جِيْلٌ خُزْرُ العُيُون وخُنْسُ الأُنُوف، وأَصْلُهُ من «خَزِرَ، خَزَراً» وهو أَخْزَرُ بيّن الخزَر، وقوم خُزْرٌ، قال حاتِم الطّائي ـ عفا الله عنه ـ:

وَدُعِيْتُ في أُوْلي النَّدِي وَلَمْ   يُنْظَرْ إليَّ بأعيُنٍ خُزْرِ

قال الجعفريّ: أي: كأنّهم عند الأمويين وأتباعهم ليسوا من العرب فضلاً عن أن يكونوا من ⇐

فقالت: لا يُجْزِعَنَّكَ ما ترى، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأُمّة ـ لا تعرفهم فراعنة هذه الأُمّة وهم معروفون في أهل السّماوات ـ أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فَيُوَارُوْنَها، وهذه الجسوم المضرّجة، ويَنْصِبُوْنَ لهذا الطَّفِّ عَلَماً لقبر أبيك سيّدالشُّهَداء لَا يَدْرُسُ أَثَرُهُ، ولا يَعْفُوْ رَسْمُهُ على كُرور[1] اللّيالي والأيّام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضّلالة[2] في محوه وتطميسه فلا يزداد أَثَرُهُ إلّا

⇐ أهل بيت نبيّهم، والأمويون وأتباعهم كانوا ينظرون إلى غير العرب بعين الحقارة والعداوة، وليس المراد ذمّ هذين الجيلين فإنّ فيهما أناساً طيّبين من شيعة عليّ عليه السلام ولا يعقل أن يكون المراد غير هذا لأنّ الإمام زين العابدين من أهل بيت قضوا على العنصريّة في العالم وفي بيتهم نزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

(١) هكذا في جميع النّسخ: والوجه: «كَرَّ الليالي والأيّام» ـ بصيغة المفرد ـ ولم تجمعه العرب، وما لم تجمعه العرب لا يجمع بالاتّفاق وما جمعته يحمل على الأنواع مثل «العلوم» و«البيوع» و«التّجارات» وغيرها.

(٢) قوله: «وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضّلالة» ومنهم المتوكّل العبّاسي جعفر بن محمّد المعتصم بن هارون الرّشيد ـ لعنهم الله ـ. قال أبو الفرج في «مقاتل الطّالبيين» ٤٧٨: وكان المتوكّل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم، مهتمّاً بأمورهم، شديد الغيظ والحِقْد عليهم، وسوء الظّنّ والتُّهَمَة لهم، واتّفق له أنّ عبيدالله بن يحيى بن خاقان وزيره يسيء الرّأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم فبلغ فيهم مالم يبلغه أحد من خلفاء بني العبّاس قبله.

وكان من ذلك أن كَرَبَ قبر الحسين [عليه السّلام] وعَفّى آثاره، ووضع على سائر الطّرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلّا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبةً وكان ذلك سنة ٢٣٦ ـ كما في الطّبريّ ـ.

وفي هذا قال ابن بسّام البغداديّ وهو عليّ بن محمّد بن نصر بن منصور أبو الحسن ابن بسام ويقال له: البسامي ٢٣٠ ـ ٣٠٢هـ:

تالله إن كانت أميّة قد أتَتْ ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

⇐

ظهوراً، وأمره إلّا عُلُوّاً.

فقلت: وما هذا العهد؟ وما هذا الخبر؟

فقالت: حدّثتني أُمّ أيمن[1] أنّ رسول الله ﷺ زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من

⇐ فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها ... هـذا لعمرك قبره مهدوما

أسِفُوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبّعوه رميما

ومن أئمّة الكفر وأشياع الضّلالة آل السّعود ـلعنهم الله ـالحكّام الجائرون في شبه الجزيرة العربيّة. قال ابن بشر الحنبليّ في «عنوان المجد»: إنّ سعوداً ـأي: سعود بن عبدالعزيز الوهّابي ـلعنه الله ـسار في سنة ١٢١٦هـ بالجيوش من حاضر نجد وباديها، والجُنُوب والحجاز وتهامة وغير ذلك وقصد أرض كربلاء، ونازل أهل بلد الحسين في ذي القعدة فحشد عليها قومه، تسوّروا جُدرانها ودخلوها عنوةً وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت وهدموا القُبَّةَ الموضوعة على قبر الحسين عليه السلام وأخذوا ما في القبّة وما حولها، وأخذوا النّصيبة الّتي وضعوها على القبر، وكانت مرصوفةً بالزُّمُرّد والياقوت وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الأموال والسّلاح واللباس والفرش والذّهب والفضّة والمصاحف الثّمينة وغير ذلك ممّا يعجز عنه الحصر، ولم يلبثوا فيها إلّا ضحوةً وخرجوا منها قرب الظّهر بجميع تلك الأموال وقتل من أهلها نحو ألفي رجل.

قال الجعفريّ: وكذلك هدموا قبور أهل البيت عليهم السلام في «بقيع الغرقد» وأرادوا بذلك إطفاء نور الله ولم يفهموا أنّ الله متمّ نوره ولو كره الكافرون، ودخلت بلاد الحجاز سنة ١٤٢٩هـ لزيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر رسوله ﷺ فوجدت الوهّابيين ـلعنهم الله ـأمويّين بكلّ ما للكلمة من معنىً، وعرفت أنّهم أعداء الله وأعداء نبيّه وآله طبعاً، وعرفت أنّ تلك القبور لو كانت لبني أميّة لم يبادروا بتخريبها ولكن لمّا لم يكن لبني أميّة الأرجاس قبر محترم لم يتحمّلوا قبراً لأهل البيت عليهم السلام لأنّهم أعداء الأمويين الفجرة ولم يعرفوا أنّ الموعد قد اقترب وأرض العراق قد تحرّر وسوف ينتقم الله من الوهّابيين ـإن شاء الله تعالى ـ.

(١) قوله: «حدّثتني أمّ أيمن» مولاة رسول الله ﷺ عدّها البرقيّ من روى عن رسول الله ﷺ من النّساء، وأيمن بن أمّ أيمن قتل يوم أحد وهو من الثّمانية الصّابرين من أصحاب رسول الله ﷺ كما نصّ عليه الشّيخ في رجاله.

⇐

الأيّام فعَمِلَتْ له حَريرةً(١)، وأتاه عليّ عليه السلام بِطَبَقٍ فيه تَمْر، ثمّ قالت أُمّ أيمن: فأتيتهم بِعُسّ(٢) فيه لَبَن وزُبْد، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحَريرة، وشَرِبَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وشَرِبُوا من ذلك اللّبن، ثمّ أكل وأكلوا من ذلك التّمر والزُّبْد، ثمّ غَسَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يده وعليّ يَصُبُّ عليه الماءَ، فلمّا فرغ من غَسْلِ يده مَسَحَ وجهه، ثمّ نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين نظراً عَرَفْنا فيه السُّرور في وجهه، ثمّ رَمَقَ(٣) بِطَرْفِهِ نحو السّماء مليّاً، ثمّ إنّه وجّه وجهه نحو القبلة، وبسط يديه يدعو، ثمّ خَرّ ساجداً وهو يَنْشِجُ(٤) فأطال النُّشُوج(٥) وعلا

⇐ في الجزريّ: هي بركة بن ثعلبة، غلبت عليها كنيتها بابنها أيمن بن عبيد، وهي أمّ أسامة بن زيد أيضاً، يقال لها مولاة النّبيّ وخادمة النّبيّ صلى الله عليه وآله. هاجرت إلى الحبشة وإلى المدينة تعرف بـ «أمّ الظّباء». وقال ابن شهاب: كانت وصيفة لعبد الله بن عبدالمطلب وكانت من الحبشة فلمّا ولدت آمنة النّبيّ صلى الله عليه وآله بعد ما توفّي أبوه حضنته أمّ أيمن حتّى كبر ثمّ أعتقها النّبيّ ثمّ أنكحها زيد بن حارثة، توفيت بعد النّبيّ بخمسة أشهر وقيل بستّة أشهر. وفي «الاستيعاب»: كان النّبي يزورها ويقول: «أمّ أيمن أمّي بعد أمّي».

وفي أنساب البلاذريّ: قال النّبي صلى الله عليه وآله: «من سرّه أن يتزوّج امرأة من أهل الجنّة فليتزوّج أمّ أيمن» فتزوّجها زيد فولدت له أسامة. وشهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنّة وردّ أبوبكر وعمر مع ذلك شهادتها في فدكٍ لفاطمة عليها السلام. والحاصل أنّها موثوقة بتوثيق الشّيعة والسّنّة.

(١) «الحَريرة» الحَسا من الدَّسَم والدَّقيق، وقيل: هو الدّقيق الّذي يُطْبَخُ بلبنٍ. وقيل: «الحَرِيْرة» من الدّقيق، والخَزِيْرَةُ من النُّخَال. وقال ابن الأعرابي: هي: العَصِيْدَةُ، ثمّ النَّخِيْرَة، ثمّ الحَرِيْرَة، ثُمّ الحَسْو.

(٢) العُسّ ـ بالضّمّ والسّين المهملة المشدّدة ـ القَدَح الكبير، وفي بعض النّسخ: «بقعب» ـ بفتح القاف المعجمة ـ يقال للقدح من خشب مقعّر.

(٣) وفي النّسخة الأصليّة: «رَمَى بطرفه» بدل «رمق» وما ضبطتُه ألطف.

(٤) نَشَجَ الباكي نَشِيْجاً، غُصَّ بالبُكَاء في حلقه من غير انتحاب، والقِدْرُ: غلت، فسمع لها صوت.

(٥) هكذا في الأصليّة، وليس بوجهٍ، لأنّ «النُّشُوج» نُشوج الماء في الأرض وهو أن يسمع له صوت. والوجه: «النَّشِيْج» فإنّ «النَّشيج» من الفم، و«الخنين» و«النّخير» من الأنف.

نَحِيْبُهُ وجَرَتْ دُمُوْعُهُ، ثمّ رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودُمُوْعُهُ تَقْطُرُ كأنّها صَوْبُ المَطَر، فحَزِنَتْ[١] فاطمةُ وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام وحَزِنْتُ معهم لِمَا رأينا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهِبْنَاه أن نسأله، حتّى إذا طال ذلك قال له عليّ وقالت له فاطمة: ما يُبْكِيْك يا رسولَ الله ـ لا أبْكَى اللهُ عينيك ـ فقد أقْرَحَ قلوبنا ما نرى من حالك؟

فقال: يا أخي، سُرِرْتُ بكم.

وقال مزاحم بن عبدالوارث في حديثه هاهنا: فقال: يا حبيبي، إنّي سُرِرْتُ بكم سُرُوْراً ما سُرِرْتُ بمثله قطّ، وإنّي لأنظُرُ إليكم، وأحْمَدُ الله على نعمته علَيّ فيكم، إذ هَبَطَ علَيّ جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد، إنّ الله ـ تبارك، وتعالى ـ اطّلع على ما في نفسك وعَرَفَ سُرُوْرَك بأخيك وابنتك وسبطيك، فأكمل لك النِّعْمَةَ وهَنَّأَك العَطِيّة بأن جعلهم وذرّيّاتهم ومحبّيهم وشيعتهم معك في الجنّة، لا يُفَرِّقُ بينك وبينهم، يُحْبَوْنَ كما تُحْبَىٰ[٢]، ويُعطَوْنَ كما تُعطىٰ، حتّى ترضى وفوقَ الرِّضَا، على بَلْوىً كثيرةٍ تنالهم في الدُّنيا، ومكاره تُصِيْبُهُم بأيدي أُناسٍ ينتحلون ملّتك ويَزْعُمُون أنّهم من أُمّتك، بُرَآء من الله ومنك، خَبْطاً خَبْطاً[٣] وقتلاً قتلاً،

---

(١) أنث الفعل في الجميع تغليباً، وإنّما يغلّب الأظهر في صفة على غيره، والأظهر في الحزن هي فاطمة عليها السلام فإنّها أمّ الأحزان وصاحبة بيت الأحزان حتّى قالت:

صُبَّتْ علَيّ مصائبٌ لو أنّها صُبَّتْ عَلَى الأيّامِ صِرْنَ لَياليا

وورثتها ابنتها زينب عليها السلام فصارَتْ أُمّ المصائب.

(٢) من الحِباء، وهو العطاء بلا مَنّ ولا جزاء، وفي بعض النّسخ: «يحيون كما تُحيىٰ»، والأنسب هو ما في المتن.

(٣) خبط خبطاً، ضرب ضرباً شديداً. وفي النّسخة: خَيْطاً خَيْطاً بالياء المفتوحة. ومعناه: جماعةً ⇐